«ممانعة جديدة!»

سعد الله مزرعاني *

تميزت الأشهر الثلاثة الماضية بكثير من المفاجآت ذات العيار الثقيل، كان أهمها اعلان «الدولة الاسلامية» على جزء واسع من الاراضي العراقية والسورية. بُعيد ذلك التاريخ تحوّلت الولايات المتحدة الاميركية الى اللاعب الاول في المنطقة (ان لم يكن شبه الوحيد)، حتى الآن، فيما تراجعت ادوار الاخرين وخصوصاً الدور الروسي.

لم يكن الوضع على هذا النحو قبل ذلك التاريخ إذ كان الدور الروسي يتقدم باستمرار، خصوصاً حتى اواخر السنة الماضية. تكرس هذا التقدم في مؤتمر جنيف الثاني الذي انتهى على خيبة كبيرة للادارة الاميركية وحلفائها وخصوصاً منهم المملكة العربية السعودية. كانت قد سبقت المؤتمر تطورات ميدانية الغت مشروع اسقاط النظام السوري، او حتى مجرد فرض بعض التنازلات عليه في مجال المشاركة في السلطة، وأقفلت باب التسوية أو الحل حتى ظروف أُخرى.

استنتجت واشنطن بعد جنيف الثاني انه لا بد من «تغيير ميزان القوى في سوريا». يمكن القول انه في ظل هذا الشعار بل القرار، حصلت تطورات الاشهر الثلاثة الماضية التي لعب فيها كل من دولة قطر وحكومة اردوغان دوراً محورياً. لم تنخرط واشنطن مباشرة في دعم وتشجيع تنظيم «داعش» ومن على شاكلته. لكنها لم تتأخر في استثمار الاندفاعة الداعشية، بوجهيها السياسي والهمجي، الى اقصى الحدود. لقد وجدت واشنطن، ايضاً، ان الفرصة سانحة تماماً لإعادة ترتيب ملفاتها في المنطقة لجهة تدارك اخفاقاتها السابقة بعد غزو العراق، ولجهة استعادة زمام المبادرة حيال المنافسين، الروسي والايراني، وحيال الازمة السورية بشكل عام.

حصدت واشنطن اول نجاحاتها في العراق. هي استعادت دور المنقذ الوحيد، ليس للكرد فقط، بل للغالبية الساحقة من عربه ايضاً. استفادت بشكل كبير، من هزيمة حكومة المالكي في «الموصل» ومن اخطائها وفئويتها، لتستدرج طلباً، بل التماساً صريحاً بالتدخل (غير البري!) من كل اللاعبين في الساحة العراقية، عراقيين وغير عراقيين!

الملف السوري اكثر تعقيداً بالتأكيد. كانت واشنطن قد اعتمدت خطة استنزاف السلطة السورية ومعها كل داعميها وشركائها في «محور الممانعة» العرب وغير العرب. وهي لذلك لم تستعجل الحلول، وواصلت سياسية المماطلة بشأن مطالبة حلفائها لها بالحسم، حتى اتهمت بالضعف والعجز، وحتى كادت، ايضاً تفقد قدرتها على الاستمرار في ادارة سياسة الاستنزاف نفسها.

وجه «التعقيد» في الملف السوري، هو في الحاح إلنظامين التركي السعودي خصوصاً على اسقاط النظام السوري، في وقت لم يبق في الساحة السورية سوى القوى المتشددة وفي طليعتها «داعش» و«النصرة». انه تعقيد سياسي وميداني في آونة واحدة. لكنه يكشف في المقابل ان الادارة الاميركية تستثمر الارهاب مرة جديدة، تحت شعار محاربته! لو كان رأس الارهاب هو المطلوب فعلاً كأولوية فرضها خطره وتوسعه وممارسته، لكان على واشنطن ان تبادر أولاً، الى بحث الموضوع مع روسيا كدولة عظمى ذات قدرات وعلاقات ودور يمتد من مجلس الامن الى اللاذقية! هذا من دون ان نتحدث ايضاً عن دور كل من الجمهورية الاسلامية الإيرانية وسوريا.

بيد أن واشنطن حذرة بحكم سياسة رئيسها وبحكم تجربة اخفاقاتها السابقة. هي كذلك تواجه التعقيدات القائمة بكثير من الخبث والمرونة: هي لن تنسق مع النظام السوري، لكنها لن تستهدف قواته ايضاً. وهي لن تجعله يستفيد من اضعاف «داعش» وبقية الإرهابيين، لذلك فهي اتخذت قراراً بتدريب قوات معارضة «معتدلة» تتولى العمل على الارض لادارة المناطق التي سيخليها تنظيم «داعش» والمتطرفون.

هي أوكلت الى السعودية لتطمينها، أمر تدريب المعارضين، لكنها تدرك ان هذا الامر محدود التأثير ويستغرق وقتاً طويلاً ما يفرض التفتيش عن بدائل في مستويات وعلاقات اخرى... وواشنطن، قبل كل ذلك وبعده، تدير صلات «تحت الطاولة» او بشكل غير مباشر مع السلطة السورية: في التطمينات، في التنسيق الاستخباري، في الرسائل عبر الحكومة العراقية وسلطات كردستان (مع ايران ايضاً، وبشكل مباشر، في الحوار بشأن وبمناسبة الملف النووي الإيراني...).

بسبب هذا النوع من الصلات والحوارات والتطمينات اعلنت واشنطن، منذ اواخر الشهر الماضي، «ان الطائرات الاميركية ستدخل الاجواء السورية من دون اذن من النظام السوري» («الحياة»، 8/27). في التاريخ نفسه نسبت وكالة «فرانس برس» الى مصدر سوري «ان التنسيق بدأ بين الولايات المتحدة ودمشق وزودت الاولى الثانية بمعلومات عن («الدولة الاسلامية») عن طريق بغداد».

كررت موسكو ودمشق وطهران الاستعداد للتعاون. ذلك يجعل المهمة الاميركية اسهل رغم نزعة واشنطن للتفرد ولتحقيق مكاسب خاصة. التقاطعات موضوعية والتباينات ايضاً!

يمكن القول، في ضوء ما تقدم، ان الصراع، في الجانب السوري، سيرتكز إلى المناطق غير الخاضعة للسلطة السورية. لهذا الجانب تعقيداته الكبيرة ايضاً مع «الحلفاء» وفيما بينهم: عرباً واجانب، سعوديين وقطريين، اتراكاً واكراداً، مصريين وقطريين...

ليست المهمة الاميركية سهلة وسط هذه التعقيدات، وبسبب رغبة واشنطن بالتفرد والاستئثار والاستبعاد، ثم ايضاً بسبب ما هو متوقع من تشبث نظام «الخلافة» بمكاسبه ونجاحاته واستماتته في الدفاع عنهما، مستفيداً ايضاً من حدة التنافس والتناقضات وغياب البدائل وطبيعة مجمل المعركة حيث الأولوية . كما ذكرنا . لترتيب الأوضاع، على الطريقة الأميركية، لا لمواجهة الإرهاب...

تعود الآن واشنطن من الباب بعد ان خرجت من الشباك، لا يمكن مواجهة مخططها (اياه)، في صيغته الراهنة، من دون اعادة قراءة جديدة يجري عبرها تفادي اخطاء المعركة في كل من سوريا والعراق على الاقل...

تحدث الرئيس بشار الاسد أخيراً، عن حوار بعد دحر الارهاب. لماذا لا يبدأ الحوار منذ الآن، وخصوصاً مع رافضي العسكرة والتدخل الاجنبي والذين يصنفهم النظام نفسه «معارضة وطنية» فيما عدد من رموزهم يقبع في السجون!

لا يمكن ان يكتفي «الممانعون» بشعاراتهم واساليبهم السابقة. في مواجهة الصياغة الاميركية . السعودية الجديدة للمنطقة يجب ان تتبلور صياغة سليمة ومبادرة مقابلة تستند الى مصالح شعوب المنطقة في الاستقلال والسيطرة على الثروات وبرامج التنمية والعدالة الاجتماعية وتعزيز المشاركة وتوفيرالحريات والديمقراطية ونبذ العصبيات والفئويات...

هل هذا كثير؟ نعم، لكنه أكثر من صحيح ومصيري!

* كاتب وسياسي لبناني

الأخبار

تأسست عام 1953
تصدر عن شركة «أخبار بيروت»

رئيس التحرير المؤسس
جوزف سماحة
(2007-2006)

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول
إبراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب ■ مديرا التحرير: إيلي شلهوب، وفيق قانصوه ■ إقتصاد: محمد زبيب ■ محليات: حسن عليق ■ مجتمع: مهى زراقط ■ ثقافة وناس: أمل الأندري

■ رئيس مجلس الادارة ابراهيم الأمين ■ الادارة المالية: فادي خليل
■ الموارد البشرية: ريما اسماعيل

■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 113/5963
■ www.al-akhbar.com
■ الإعلانات الوكيل الحصري شركة بروموفيكس 01/788200
■ التوزيع شركة الأوائل 15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381

حزب الله في مواجهة

أسعد أبو خليل *

لم يرتح حسن نصرالله منذ أن تسلّم الأمانة العامّ لحزب الله عام 1992، لم تتوقّف الحروب الإسرائيليّة المنشأ على قيادته وحزبه ومشروعه. وكلّما أثبت نصرالله مهارة في الزعامة وكلّما ازدادت شعبيّته (قبل الحرب في سوريا)، كلّما أصرّ العدوّ الإسرائيلي على تسعير الحرب ضدّه وعلى تحريف وجهة بندقيّته. حروب متوالية ومؤامرات وأعاصير وغزوات واغتيالات واجتياحات وخيانات: لا ينتهي العدوّ من حرب على الحزب، حتى تبدأ أدوات العدوّ المحليّة حرباً أخرى، وهكذا دواليك. حرب كونيّة شُنّت على نصرالله وحزبه وهي لم تهدأ بعد. لم يُسمح له بالتقاط أنفاسه حتى بعد ان انتهت مرحلة إدارة بوش الكارثيّة. وبعد عدوان تمّوز، زاد الإصرار الإسرائيلي على زيادة حدّة الحرب الكونيّة على حزب الله مع ان الحسابات الأميركيّة والإسرائيليّة تتضارب في مسألة وجود قيادة نصرالله لأن أميركا تعلم - من دون أن تعلن ذلك -أن نصرالله وحده قادر على منع لبنان والمنطقة من التفجّر الكامل.

لكن الحرب في سوريا غيّرت في نوعيّة الحملة ضد الحزب. إن دور أميركا والدول العربيّة وإسرائيل في الحرب في سوريا يستهدف حزب الله وإيران أكثر مما يستهدف النظام السوري. النظام السوري لم يزعج العدوّ الإسرائيلي إلا بالطرق غير المباشرة، فيما شكّل حزب الله في الأداء البارع في حرب تمّوز تهديداً ليس عسكريّاً فقط وإنما نفسيّاً للعدوّ: نسف الحزب في المواجهة الشجاعة كل العقيدة القتاليّة والاستخباراتيّة التي حكمت أداء العصابات الصهيونيّة وجيش الدولة قبل وبعد 1948. إن المواجهة المباشرة ضد الحزب غير مأمونة العواقب والطرق الملتوية في المواجهة (الحرب في سوريا والاغتيالات) لا تؤدّي الغرض الذي تهدف إسرائيل وأميركا إليه، وهو إنهاء حالة حزب الله بالكامل، أو تحويلها - كما كان في حالة «فتح» - من قوّة مقاومة إلى سلطة شرطة رديفة للاحتلال ومهادِنة للعدوان.

لكن بعد ثلاث سنوات من الحرب في سوريا، بات التقويم واجباً. من الواضح ان هناك جوانب في أداء حزب الله تحتاج إلى دراسة نقديّة تبتعد من طرفيْ الدعاية العربيّة: إما تحريض المحور السعودي - الأميركي أو هتاف محور ما يُسمّى بالممانعة (مع ان الممانعة ليست صنواً للمقاومة).

> إن ظهور الخطر الداعشي قد يزيد من قبول ذرائع الحزب وأسبابه للتدخّل في سوريا

أولاً: الحرب في سوريا

ساق الحزب حججاً عدة في تسويغ تدخّله العسكري في سوريا وساق خصومه شتّى الحملات التحريضيّة ضد الحزب حتى قبل ان يتدخّل في سوريا. إن كذبة ان فريق 14 آذار لم يعادِ حزب الله إلا بعد موقعة 7 أيّار توازي كذبة ان معاداة حزب الله من قبل المعارضة السوريّة (او النظام العربي الرسمي أو «حماس») لم تبدأ إلا بعد ان تدخّل في سوريا. إن حرق صور نصرالله والهتاف ضد الحزب وزعيمه سبق بأشهر طويلة التدخّل العسكري المباشر للحزب: إن تصريح برهان غليون لجريدة «وول ستريت جورنال» جاء قبل أشهر طويلة من تدخّل الحزب العسكري في سوريا. كان إعلام السعوديّة وقطر منذ اليوم الأوّل يزعم ان إيران وحزب الله يقودان قوّات النظام السوري. لم يقبل المحور السعودي - القطري أي تفسير لتدخّل حزب الله في سوريا إلا تفسير التآزر الطائفي المحض. لكن بصرف النظر عن موقف المرء من تدخّل الحزب العسكري في سوريا فإن مقولة إن التحالف بين الحزب وسوريا هو تحالف طائفي ضعيفة الحجّة والأسانيد. إن علاقة الحزب مع النظام السوري كانت حتى عهد بشّار علاقة تراوحت بين الصراع الدموي وبين الهدنة المشوبة بالقلق. إن حركة «امل» هي التي أقامت تحالفاً (منذ أيّام موسى الصدر) على أسس طائفيّة مع النظام السوري (ورافق ذلك إصدار الصدر قراره الذي أدرج فيه العلويّين في نطاق الشيعة «الإثناعشريّة» مع ان ذلك يتعارض مع عقيدة الطائفتيْن). لم تشب العلاقة بين حركة «امل» منذ إنشائها والنظام السوري أية شائبة. لكن هذا لا يسري على علاقة حزب الله والنظام السوري. إن العلاقة التحالفيّة بين رفيق الحريري والنظام السوري كانت أقوى من التحالف بين الحزب والنظام السوري.

لكن القول إن التحالف بين الحزب وبين النظام السوري ليس طائفيّاً لا يعني بتاتاً ان التحالف هذا كان صائباً أو أنه كان دوماً لمصلحة مشروع المقاومة، أو هناك في قاعدة حزب الله مَن لا ينظر إلى التحالف من وجهة طائفيّة. كما إن التحالف بين الحزب وحركة «حماس» لم تَشُبه شائبة قبل ان تقرّر «حماس» ان تقف منتظرةً سقوط النظام كي تعلن من الدوحة انتصار محور الإخوان من تونس حتى دمشق. لم يخلّ الحزب بتلك العلاقة بل ان الحركة هي التي أخلّت بها.

لكن الحزب وقع في ورطة في تدخّله في سوريا. قدّم عدداً من الحجج لتبرير تدخّله في سوريا من دون ان يكون مُقنعاً في كل منها. إن قدرة المحور السعودي ـ القطري (والذي يفعل العدوّ الإسرائيلي فعله في داخله) على شنّ تحريض مذهبي ضد الحزب استفاد لا فقط من تدخّل الحزب في سوريا بل من فشل الحزب في التصدّي لمشروع الفتنة الطائفيّة في المنطقة خصوصاً منذ عام 2005. إن تسعير وتيرة التحريض المذهبي ضد الحزب كان بقرار سعودي – أميركي - إسرائيلي، وجاء للتعويض عن الخسارة الاستراتيجيّة لجيش العدوّ وللخسارة المعنويّة لآل سعود الذين راهنوا (مع أدواتهم في 14 آذار في لبنان) على تدمير حزب الله وبسرعة وسمت هزائم الجيوش العربيّة في حروب ضد العدوّ. ارتبك الحزب وظنّ ان الترفّع عن الردّ على التحريض الطائفي المذهبي كفيل بإفشاله. أما إعلام الحزب فهو من أفشل الإعلام في زمن